إهداء

إلى محمد على باشا ..
إلى جمال عبد الناصر الزعيم ..
إلى عبد الفتاح السيسي الإنسان ..
هذا الجهد المتواضع

سامى الزقم
القاهرة فى 2018/10/6

مقدمة

جرت العادة ألا يدع الغرب ودول إقليمية بعينها الفرصة لمصر على وجه الخصوص أن تنهض من كبوتها وتستيقظ من غفوتها عملاً بالقول النابليوني المأثور: « قل لي من يحكم مصر .. أقل لك من يحكم العالم» .

إن موقع مصر وثقافتها وتاريخها ، وتطلعها لمشروع حضاري جديد بعد ثورتين بهرتا العالم فى عامي 2011 ، 2013 ، دائماً ما تجد الملاحقات والعقبات والمؤامرات.

فمصر مينا وأحمس وتحتمس ورمسيس الثاني وصلاح الدين الأيوبي وقطز وبيبرس ومحمد علي وجمال عبد الناصر كان لديهم حلم ورؤية ومشروع وانطلقوا خارج الحدود، وتجدد هذا الحلم وتلك الرؤية وهذا المشروع التنموي من جديد باختيار **عبد الفتاح السيسي** رئيساً للجمهورية .

ليصبح من هؤلاء الرجال فى التاريخ الحديث والمعاصر ثلاثة قادوا الأمة المصرية ولم يكتفوا بإدارة أجهزتها وشئون حكمها إنهم الباشا (محمد على) والزعيم (جمال عبد الناصر) والإنسان (عبد الفتاح السيسي) .

وتظل مصر – بثرواتها وإمكاناتها ومواردها – التى قادها كل من الباشا والزعيم، ويقودها حالياً الإنسان ، هي نفسها مصر التي حكمها الملوك والأمراء والولاة من قبلهم ، ولم يكن لأي منهم فضل اكتشافها ، وإنما كل لثلاثتهم فضل تنمية ثرواتها وتعظيم إمكاناتها واستثمار مواردها وإحكام السيطرة على أمن البلاد والسعي لاستقلال قرارها.

فخصصت لكل منهم –بصفتهم بناة مصر الحديثة - فصلاً تناولت فيه مولده ونشأته ودراسته وحياته المهنية وظروف اختياره حاكماً والمصاعب التى وقفت عائقاً أمام تنفيذ رؤيته ، كما المحت إلى الظروف الداخلية والخارجية التى عاصرت وتعاصر نظامه، والسياسات التى اتبعها كل منهم والانتقادات الموجهة لهم ورؤى المفكرين والمؤرخين فى الأداء العام لكل منهم وتقييم شامل للتجربة، وتطلعات وآمال مواطنيهم .

وقبل هذه الفصول أجريت مقارنات بين القادة الثلاث للكشف عن المشترك فيما بينهم وأوجه الاختلاف.

هذا ما حاولت تقديمه في مؤلفي: (الباشا .. الزعيم .. الإنسان .بناة مصر الحديثة) ، أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه .

القاهرة في 6/ 10 / 2018

سامي الزقم

بين
الباشا والزعيم والانسان

تولي حكم مصر الوالي محمد علي باشا بإرادة شعبية ، واختار مجلس قيادة الثورة الزعيم جمال عبد الناصر لحكم مصر وباستفتاء شعبي ورضا عام ، كما اختير الإنسان عبد الفتاح السيسي لرئاسة مصر بضغط واستدعاء جماهيري وفاز في انتخابات الرئاسة عام 2014 ، واجه ثلاثتهم ظروفاً داخلية وخارجية متشابهة وتمكنوا من التغلب على تلك المصاعب بإجراءات متتابعة فوصفهم المعارضون لهم بالإنفراد بالسلطة والإفراط فى استخدام القوة ، ومع ذلك فإن المؤيدين وأغلب هؤلاء المعارضين أجمعوا على أنهم أصحاب رؤية وحلم ولديهم مشروع تنموي شامل وقدرة على تحقيق استقلال القرار الوطني .

من هنا أصبح من الطبيعي قبل أن أعرض تجربة كل منهم الإشارة إلى مقارنات تجمعهم فى الرؤى والحلم والتجربة وأسلوب قيادتهم لحكم أمة بحجم ومكانة مصر .

- كل منهم صاحب رؤية ومشروع واستهدف استقلال القرار المصري .

- تربع الباشا على عرش مصر 42 عاماً ، بينما الزعيم 18 عاماً نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ورئيساً للوزراء ثم رئيساً لمجلس الثورة ثم رئيساً للجمهورية، أما الإنسان فقاد الأمة لأربع سنوات وهو في بداية ولايته الثانية لرئاسة الجمهورية (2018- 2022) .

- لقب الباشا بعزيز مصر ، كما لقب الإنسان أيضاً بعزيز مصر .

- الزعيم قال « باسم الأمة » فتغير وجه التاريخ ، والإنسان قال تحيا مصر ... تحيا مصر... تحيا مصر فدوت القاعات ترددها تحية له ولمصر .

- أنشأ الباشا وابنه إبراهيم وسليمان الفرنساوي جيشاً وأسطولاً بحرياً قوامه 236 الفاً على أحدث النظم العسكرية الأوروبية ، وأقر الزعيم مع رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة المبادئ الستة أهمها بناء جيش وطني قوي مزوداً بالسلاح من الشرق والغرب ، بينما استطاع الإنسان إعادة بناء القوات المسلحة تدريباً وتخطيطاً وتسليحاً براً وبحراً وجواً منوعاً لمصادر التسليح وبأحدث تكنولوجيا العصر حماية لأمننا القومي ولمياهنا الاقتصادية .

- تولى الباشا حكم البلاد والياً بإرادة شعبية تمثلت فى المشايخ وكبار التجار ونقباء الحرف وتولى الزعيم الحكم باختيار مجلس قيادة الثورة وتأييد الجماهير له عبر استفتاء ثم الرضا العام من قبل المواطنين ، وترشح الإنسان

لمنصب رئيس الجمهورية تلبية لنداء ولضغط شعبي وموافقة المجلس العسكري وفوزه فى انتخابات 2014 على منافسه السيد / حمدين صباحي

- الباشا والزعيم والإنسان ينتمون لأصول عسكرية .

- اعتمد كل من الباشا والزعيم والإنسان على القدرات الذاتية المصرية والموارد المتاحة بشكل أساسي ولجأ كل من الزعيم والإنسان لقروض طويلة الأجل لتمويل مشروعات قومية محددة لبناء دولة حديثة .

- تكالب الدول الغربية ومعها تركيا ودول إقليمية أخرى ضد مشروع التنمية الشاملة الذي تبناه كل من الباشا والزعيم والإنسان .

- زوجات كل من الباشا والزعيم والإنسان لم يعملن بالسياسة ولم يشاركن فى الشأن العام .

- زوجة الباشا السيدة / أمينة هانم ترجع أصولها إلى قوله بمقدونيا وكانت تابعة للدولة العثمانية ، أما زوجة الزعيم السيدة/ تحية كاظم فكانت من أصول إيرانية ، بينما زوجة الإنسان السيدة إنتصار عامر فهي من أصول مصرية.

- ثلاثتهم أقاموا مشروعات مائية فالباشا أقام القناطر الخيرية وسدودا وترعا والزعيم أقام السد العالي والإنسان استكمل إقامة قناطر أسيوط الجديدة وتوسع فى إنشاء محطات لتحلية المياه وتدويرها فى كل ربوع المحروسة .

- كانت مصر تحت الاحتلال العثماني المملوكي وقت تولي الباشا مقاليد الحكم ، بينما كانت تحت الاحتلال البريطاني وقت تولي الزعيم رئاسة الجمهورية، أما الإنسان فقد واجه احتلالاً من نوع مختلف اسمه تنظيم الإخوان الدولي ومكتب الإرشاد وجماعات الإرهاب المنظم المدعومة دولياً (الإحتلال الإخواني خوارج العصر) .

- كان الباشا رجلاً قوياً وذكياً يستطيع أن يرسل رسائل دون أن يتحدث ولديه قدرة فائقة على إقناع الآخرين ، والزعيم كان لديه ذكاء ومن ينظر فى عينيه لا يستطيع الكذب لقوة شخصيته ، أما الإنسان فإنه ذكي وشجاع ولديه قدرة على السيطرة على المواقف .

- أقر الباشا حقوق المواطنة فى صورة فرمانات وسياسات مكنت الجميع من العمل دون تمييز ومارسوا حرية العبادة دون خوف ، ودعم الزعيم حقوق كل الفئات وأولهم المرأة فى حياة كريمة وممارسة سياسية ، أما الإنسان فقد أتاح الفرصة لممارسة أوسع للمرأة وذوي الاحتياجات الخاصة والشباب والقضاء على مظاهر التمييز ترسيخاً لمبدأ المواطنة .

- القدرة على امتصاص الصدمات والنهوض من جديد لمواجهة الواقع

هكذا أدار الباشا غضبه عندما خسر أمام تحالف الغرب مع الخليفة العثماني ضده في معاهدة لندن ، وكذلك استطاع الزعيم إدارة غضبه بما يليق لصالح الأزمة التى مرت بها مصر فى حرب 1956 ونكسة 1967 ، ويدير الإنسان غضبه بما يناسب مكانة مصر ودورها فى مواجهة ما يحيطها من صراعات وتدخلات وما يحاك ضدها من مؤامرات .

- الباشا خاض معركة في الداخل والخارج بالقوة ، بينما الزعيم خاض معاركه بقوة الشعوب العربية والأفريقية والعالم الثالث ، أما الإنسان فإنه يخوض معاركه عبر سياسات واستراتيجيات متوازنة ومتزنة يستخدم فيها كل الوسائل والأساليب واستثمار كافة العلاقات على مختلف الأصعدة .

- سيطر الباشا على منابع النيل بالقوة بينما سيطر الزعيم على منابع النيل بالصداقة ، ويحاول الإنسان اتباع سياسة مرنة ومد جسور المحبة والمنافع المتبادلة مع دول حوض النيل للوصل بدلاً من النزاع والقطيعة .

- في لندن تآمروا على الباشا وعلى الزعيم ولا زالوا ضد الإنسان إنها مركز للمؤامرات والدسائس وحضانة للمتطرفين والإرهاب .

- كانت علاقة الزعيم بالجماهير علاقة خاصة فهي تمثل بالنسبة له الكثير ، أن هذه الجماهير وقفت وراءه فى ساعات الهزيمة كما هتفت حوله أيام النصر ، وكذلك الإنسان فعلاقته بالجماهير علاقة عجيبة غريبة لا يفهمها إلا هم والإنسان نفسه فعندما رفع الأسعار غضبت الجماهير ولما قال لهم مفيش حل تاني وافقوا وهم راضون عكس كل التوقعات .

- تشابه الظروف الأمنية والأوضاع الداخلية المضطربة قبل تولي كل منهم الحكم وكان كل منهم بمثابة البطل المنقذ أو المخلص أو الأسطورة فى نظر الجماهير، فالباشا هو المنقذ لمصر من الفوضى والإضطرابات التى شهدتها عقب الحملة الفرنسية على مصر ، وكان الزعيم هو المنقذ لها بعدما شهدته من أحداث حريق القاهرة ومعركة الكرامة بالإسماعيلية وتغيير الوزارات وفوضى الاغتيالات والعنف المدبر ، أما الإنسان فقد أنقذ مصر من حكم فاشي تديره أجهزة مخابرات دولية بالتنسيق مع تنظيم دولي وإرشاد الإخوان خلقوا معاً فوضى أمنية غطت عموم المحروسة ولازال الجيش المصري مع الشرطة وأجهزة الأمن يمشطون سيناء والحدود ضمن عملية أطلق عليها العملية الشاملة فى سيناء .

- كان الباشا يبدأ يومه مبكراً قبل الجميع، ويواصل عمله مع مستشاريه ورجاله حتى ساعات متأخرة ، يتخللها فترات راحة بسيطة ، وكان الزعيم يمتلك برنامجاً يومياً يبدأ صباحاً بالقراءة وتناول كوب من الشاي وسماع المحطات الإذاعية واتصالات تليفونية ، ويظل ساعياً للمتابعة – والمناقشة والمراجعة ، أما الإنسان فإن بداية يومه مع الفجر وقراءة القرآن وزيارات مفاجئة لمواقع مدنية أو عسكرية أو المشاركة فى ماراثون ويظل طوال يومه قارئاً ومراجعاً ومناقشاً ومتابعاً لكل ما يجري فى الوطن وخارجه .

- كانت علاقة الباشا بأسرته وعائلته علاقة دافئة حرص دائماً على متابعتهم وتوجيه النصح لهم كبيراً أو صغيراً ، وكذلك كان الزعيم على علم بكل تفاصيل حياة أسرته وأقاربه وعلى معرفة دقيقة بأحوالهم ، أما الإنسان فلم يختلف عن الباشا والزعيم محباً لأسرته وأقاربه مثالاً للجدية والالتزام تربطه بالجميع علاقات ود ومحبة واحترام .

- كان الباشا يقيم وأسرته فى قصره بشبرا ويمارس شئون الحكم من القلعة وكانت البداية فى الأزبكية أما الزعيم فقد ظل وأسرته في منزله بمنشية البكري واتخذ منه مكاناً لعمله اليومي عدا الاستقبالات والجلسات الرسمية فكانت في أحد القصور الرئاسية بالقاهرة أو الإسكندرية وسار على نهجه الإنسان فقد ظل وأسرته في سكنه الخاص قبل تولي مهام الرئاسة وجعل من قصر الإتحادية بالقاهرة والمنتزه بالإسكندرية للاستقبال والمحادثات الرسمية باستثناء لقاءاته فى المؤتمرات والمناسبات الوطنية فعادة ما تكون فى أحد القاعات أو الفنادق .

- قال الزعيم أن الشعب هو المعلم وقال الإنسان الشعب هو من حافظ على مصر وهو بقدرته وصلابته وصموده أقوى من النووي .

- الباشا استخدم القوة فى تحقيق مصالحه وتوسيع امبراطوريته لخلق سوق لمنتجاته بينما الزعيم غزا العالم بمواقفه ومكانته الشخصية أما الإنسان فقد اعتمد على استراتيجية تبادل المصالح والمنافع وتحقيق التوازن والاتزان وثوابت فى العلاقات العربية والدولية .

- إن خروج جماهير المصريين عام 1805م يقودهم المشايخ والتجار وأصحاب الحرف للمناداة بعزل خورشيد باشا وأن يكون محمد على والياً بدلاً منه مثلت اختياراً شعبياً وضغطاً على الباب العالي بينما كان خروج الجماهير فى مصر والوطن العربي بكثافة وعفوية ومشاعر وطنية فى التاسع من يونيو 1967 تمسكاً بالزعيم ، كانت تعبيراً عن استفتاء جديد على شعبيته مشروطاً بتخليصها من عدو مغتصب ومشاركة منها فى استرداد عزتها وكرامتها أنه عقد مشروط وشيك مكتوب وليس على بياض ، بينما كان الخروج المتكرر للجماهير فى 30 يونيو 2013 ، 3 يوليو 2013 ، 24 يوليو 2013 بمثابة استدعاء للإنسان وتفويض لتخليص الوطن من حكم جماعة إرهابية وتنظيم المرشد–خوارج العصر الحديث- المتعاون مع أجهزة استخبارات أجنبية وإقليمية وعربية ، ومجموعات داخل الوطن قبلت على نفسها خيانته ، وانتشرت فى كل مناحي الحياة في مصر تحت أشكال وصور متعددة وأنشطة براقة رافعة شعارات لا علاقة لها بالواقع ، مستخدمة كل ألوان الإرهاب والخسة .

- أحسن الباشا اختيار قادة حملاته العسكرية وأمدهم بالوصايا وتابع آداءهم وتدخل في التوقيتات المناسبة فى معاركه شرقاً وشمالاً وجنوباً وبحراً كما أحسن اختيار من يشرف على إعداد وتدريب قواته ضباطاً وجنوداً ، بينما تخلى الزعيم طواعية عن القوات المسلحة لعبد الحكيم عامر إعداداً

وتدريباً وتخطيطاً فأصبح مركز قوة له مريديه يصعب ترويضه حتى كانت نكسة 1967 ليتحمل المسئولية ويتمكن من اختيار قادة أكفاء ليعيدوا معه بناء القوات المسلحة وبدؤوا حرب الإستنزاف ووضعوا خطط استرداد سيناء حتى وافته المنية فى سبتمبر 1970 أما الإنسان فقد وضع نصب عينيه تجارب سابقيه مستفيداً من دروس التاريخ فأجرى التغييرات فى أصعب وأدق الظروف حتى مع أقرب الناس إليه وزود القوات المسلحة ولا زال بأحدث المعدات الشرقية والغربية جواً وبحراً وبراً مع استمرار خطط التدريب محلياً ومع دول متعددة داخل وخارج مصر وفرض سيطرة كاملة على الحدود براً وبحراً .

- اهتم الباشا بتصنيع معدات وذخائر الجيش بدلاً من الاستيراد من الخارج مستعيناً بالخبراء الأوروبيين وعلي رأسهم الفرنسيين ، وخطا الزعيم خطوات متعددة بإقامة المصانع الحربية والهيئة العربية للتصنيع لتوفير احتياجات القوات المسلحة والخارج فى حدود المتاح معتمداً على دول المعسكر الشرقي وخاصة الإتحاد السوفيتي ، أما الإنسان فقد اختار تطوير تلك المصانع متعاوناً مع الشرق والغرب والتوسع فيها بخطوط إنتاج جديدة لإمداد القوات المسلحة بمزيد من احتياجاتها وتصدير الفائض منها عبر أسواق يتم فتحها تحقيقاً للمصالح المتبادلة ومشجعاً البحث العلمي والتطور التكنولوجي .

- الباشا حارب بجيشه وبحريته فى الشمال والجنوب والشرق لتوسيع دائرة نفوذه وتكبد خسائر فادحة عندما تكالبت عليه دول الغرب بمساندة عثمانية ، أما الزعيم فقد دفع بقواته البحرية والبرية والجوية البالغة نصف مليون ضابط وجندي إلى اليمن لمساندة ثورته الوليده عام 1962 ، فقدت مصر خلالها خيرة شبابها فوق سفوح ووديان جبال اليمن ، علاوة على ما تكبدته مصر من خسائر إقتصادية كانت كفيلة بإنعاش الاقتصاد المصري لو تم استثمارها داخلياً، وقد رأى العديد من الخبراء أن اشتراك مصر على هذا النحو في حرب اليمن لم تكن إلا مصيدة لإسقاط حكم الزعيم فضلاً عن كونها أحد أهم أسباب نكسة 1967وتمثل سوء تقدير ،بينما الإنسان اعتذر عن إرسال قوات عسكرية برية لليمن واكتفى بالإشتراك بقوات بحرية وجوية ضمن قوات التحالف العربي لمحاربة المتطرفين الحوثيين ومعهم قوات تابعة للرئيس السابق علي عبد الله صالح مخلفين حالة من الإضطراب في اليمن شمالاً وجنوباً مستفيداً من تجربتي الباشا والزعيم، حماية لأمننا القومي ، وتأمينا للمجرى الملاحى لقناة السويس.

- أنشأ الباشا ترسانة الإسكندرية بعد بولاق لصناعة السفن التجارية والحربية بمصر بدلاً من أستيرادها من أوروبا معتمداً على الخبراء الفرنسيين ، وفي عام 1960 أعاد الزعيم اقامة ترسانة الإسكندرية البحرية لترميم وصيانة وصناعة السفن ، أما الإنسان فقد أولى الترسانة اهتماماً واضحاً بإعادة التأهيل والهيكلة والتدريب للعاملين بها متفقاً مع الجانب الفرنسي (شركة نافال) على تصنيع ثلاث كورفيتات من طراز جويند

2500 أولها الكورفيت الشبحي سجم بور سعيد 972 ، بترسانة الإسكندرية كما اهتم بكل من ترسانة بور سعيد والسويس وبور توفيق للصناعة وصيانة السفن وبناء المعديات .

- المشروع النووي كان حلم الزعيم وأقام مفاعل إنشاص للدراسة والأبحاث والإنتاج وأراد التوسع فى هذا المجال لولا هزيمة 1967 التى أوقفت كل برامج التطوير والتنمية بما فيها النووي ليصبح كل شئ من أجل المجهود الحربي وليتوقف كلياً أي مسعي لتطوير المشروع بعد نصر أكتوبر 73 حتى جاء الإنسان ليحيي الأمل ويعقد مع الجانب الروسي اتفاقية إقامة محطة الضبعة النووية لتبدأ بأربعة مفاعلات مع مدرسة لتخريج الفنيين وبعثات لروسيا من العلماء والباحثين والمهندسين لخلق جيل جديد فى عصر مختلف ولأهداف متعددة ، وليساهم في التطور التكنولوجي فى مختلف المجالات .

- ارتدى الباشا وأسرته ملابس ومصنوعات جلدية مصرية ، وكذلك فعل كل من الزعيم وأسرته والإنسان وأهل بيته تطبيقاً لشعار « بكل فخر صنع فى مصر».

- تابع الباشا الأبناء والأحفاد دراسياً وصحياً ، وسار على نهجه بنفس الاهتمام والمتابعة للأبناء دراسياً وصحياً كل من الزعيم والإنسان.

- ازدانت حوائط الدواوين والمجالس الخاصة بصور الباشا ، وثُبتت صور الزعيم على حوائط المؤسسات الحكومية والقطاع العام وحتى الخاص ، بينما الإنسان رفض استبدال صوره مكان صور سابقيه خرقاً للعادة المصرية القديمة!!.

- واجه الباشا الفساد المالي والإداري بالرقابة (التفتيش / المحاسبة المالية/ الجرد) والقانون والعقوبة ، وحاصره الزعيم بقانون للرقابة الإدارية عام 1964م وأجهزة أمنية ومالية ، وعدل اختصاصات الرقابة الإدارية وأطلق يدها الإنسان بالقانون رقم 207 لسنة 2017م ، وكذلك حفز باقى الأجهزة الرقابية والأمنية لمواجهة كل ألوان الفساد من جشع وإهدار الموارد والسلبية والإهمال وسوء التخطيط والتنفيذ والرشوة .

- أحسن الباشا التعامل مع المسيحيين ، ورفع عنهم كل أنواع الظلم والتمييز ، واستطاع الزعيم أن يرسخ نفس المفهوم ، وتخصيص أرض بالعباسية لإقامة الكاتدرائية ، وكان أول المتبرعين لبنائها ، وافتتحها بصحبة الإمبراطور هيلاسلاسي إمبراطور الحبشة (أثيوبيا) والبابا كيرلس السادس ، أما الإنسان فقد أقام الكاتدرائية الكبرى بالعاصمة الإدارية الجديدة وقبلها أقام على نفقة الدولة والقوات المسلحة كل الكنائس التى هدمها أو أحرقها المتطرفون والإرهابيون وهي بالعشرات ، كما أقر حقوق المواطنة وتيسير إجراءات ترميم أو بناء كنائس جديدة وملحقاتها وحضور الاحتفالات الدينية ، ولأول مرة تعيين محافظ سيدة مسيحية فى دمياط ونواب وزراء ومحافظين.